



مشروع الطريقة الكتانية في الجزائر 1939-1949

-قراءة في الخلفيات والأبعاد-

TarikaKettania's project in Algeria 1939-1949

Reading in backgrounds and dimensions

د/ فيصل مبرك¹

¹ المركز الجامعي - بركة، الجزائر، wahib.wahib952@gmail.com

تاريخ القبول: 26 جوان 2020

تاريخ الاستلام: 06 جويلية 2019

Abstract:

This proposal is not for the purpose of introducing Sheikh Abi Al-Issaad Abdel-Hay El-Kettani, nor for introducing the Kettani TARIKA, but rather an attempt to read the backgrounds and dimensions of the Sheikh El-Kettani project in an attempt to expand his political and religious activity outside the Far Morocco, within the framework of unifying efforts with traditional elite in Algeria, Tunisia and Egypt.

The article in this context includes the activities of Sheikh Kettani in Algeria and its implications on the media, cultural and religious scene, and the various national positions on that movement, especially the position of the Algerian Muslim Scholars Association.

Keywords:

KettaniaTarika; Abdul Hai Al Kettani; Algeria; Al-Bashir Al-Ibrahimi; Henri de Castry; Muhammad V; Algerian Muslim Scholars Association.

المؤلف المرسل: فيصل مبرك.

البريد الإلكتروني: wahib.wahib952@gmail.com

الملخص:

هذا المقترح ليس من أجل التعريف بالشيخ أبي الإسعاد عبد الحي الكتاني ولا التعريف بالطريقة الكتانية، ولكنه محاولة لقراءة خلفيات وأبعاد مشروع الشيخ الكتاني في محاولة لتوسيع نشاطه السياسي والديني خارج المغرب الأقصى في إطار توحيد الجهود مع رجال النخبة التقليدية في كل من الجزائر وتونس ومصر.

يهتم المقال في هذا الإطار بنشاطات الشيخ الكتاني في الجزائر وتداعيات ذلك على الساحة الإعلامية والثقافية والدينية، والمواقف الوطنية المختلفة من ذلك الحراك، ولا سيما موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

الكلمات المفتاحية:

الطريقة الكتانية ; عبد الحي الكتاني ; الجزائر ; البشير الإبراهيمي ; هنري دي كاستري ; محمد الخامس ; جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.



ليس من السهل الحديث عن بداية حقيقة للحركة الوطنية المغربية، باعتباره موضوعا متاخلا مع الحراك الفكري المغربي على مستوى طبقة العلماء والنخبة، فالحركة الوطنية بمفهوم أدق ظهرت -عند البعض- أول أمرها منذ الإزهاصات الأولى للإصلاح الفكري مع رواد التجديد الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فالواقع السياسي والثقافي الراهن كان يحتاج إلى نشاط وطني شامل يمس كلا من الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية مجتمعة، غير أن الحركة الوطنية كتسمية -في ظل الحماية الفرنسية- قد أخذت معنى المفهوم الذي يعبر عن السلاح كوسيلة أولى لتحقيق الهدف الوطني، فكانت الوطنية تهدف إلى المحافظة على هذا الوطن وحمايته من أي محاولة تدخل أو احتلال أو هيمنة، وهذا حارب المغاربة في الجبال والصحراء والسواحل منذ بدأ الاستعمار الغربي يتطلع إلى ما وراء البحار فأنزل عبد الكريم السلاح في الريف، وأنزل ماء العينين السلاح في الصحراء، وأنزل حمو الزياني السلاح في الأطلس، إلا أنه ومن جهة أخرى كانت أعمال بعض العلماء والمثقفين تصب في نفس الهدف غير أنها اتخذت طريقا آخر تمثل في الاهتمام بقضايا الدولة والمجتمع من منظور فكري يحول دون غرق البلاد في دوامة من الانحرافات السياسية والدينية والاجتماعية والسياسية.

لقد كانت الأسرة الكتانية من أكبر الأسر العلمية شهرة واحتراما في المغرب الأقصى، ذلك أنه اشتهر منها الكثير من العلماء والمتصوفة الذين تركوا تراثا ضخما في الكثير من الفنون والعلوم التي لازالت محفوظة في المكتبات والخزائن المغربية، هذه الأسرة كانت حاضرة في قلب الأحداث الحاسمة في تاريخ المغرب، من خلال اهتمام رجالها بالمشهد السياسي والثقافي حينها، والطريقة الصوفية الكتانية

أخذت على عاتقها مهمة الإصلاح والتجديد الديني والثقافي قبل وبعد وفاة مؤسس الطريقة أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني⁽¹⁾ وكذا أثناء مجيء أخيه عبد الحي المعروف بمساعيه كالدعوة إلى الإصلاح الإداري بالمغرب وإحداث الدستور والمجالس النيابية، وتحريض القبائل المغربية على جهاد المستعمر الفرنسي.

وهذا المقترح ليس من أجل التعريف بالشيخ أبي الإسعاد عبد الحي الكتاني ولا التعريف بالطريقة الكتانية، على الرغم من أن الرجل حظي بماكنة بمكانة مرموقة في المناخ الثقافي والعلمي والديني في العالم العربي، لما تميز به من سعة الاطلاع وكثرة المصنفات وتعدد الرحلات والأسفار وتنوع واختلاف مشاريعه العلمية والصوفية، ويعتبر الشيخ عبد الحي الكتاني في نضربعض المغاربة -المنووني وغيره- من رواد الفكر الإصلاحى، ومن دعاة الإصلاح الدينى والاجتماعى والأخلاقى والحضارى، بدلا من الإصلاح السياسى، على الرغم من كل هذا؛ فإن بعض النخب فى كل من المغرب الأقصى -بالخصوص- والمعالَم العربى -عامة-؛ يعتبرونه خائنا لقضايا الأمتين العربية والإسلامية فى ظروف تاريخية معينة!! ولكن لا أحد ينكر ما حققه الشيخ الكتاني من شهرة أو نجاح.

هذا الطرح الأخير مبني على تعامل الشيخ الكتاني مع تلك الظروف التي ساعدته على تحصيل تلك الشهرة، وحفاظه على العلاقات الودية مع بعض الشخصيات النافذة فى الإدارة الفرنسية خلال فترة الحماية على المغرب (1912/1956)؛ فحصل بسبب ذلك على نفوذ كبير استخدمه فى كافة نشاطاته، وأسس فى هذا المضمار مؤتمر الطرق الصوفية، من أجل خلق تكتل للطرق الصوفية فى كل من المغرب والجزائر وتونس، وهذا ما يثير الإشكال الأكبر فى محاولة قراءة متأنية متفحصة للحدث والنتيجة والسياق التاريخى لتلك المساعي، فنطرح السؤال تالى: هل كل ذلك كان منطلقه توجهات الطريقة الكتانية، أم أهداف المستعمر الذى جعل الطريقة أداة تنفيذ لها؟



في هذا السياق نجد الشيخ الكتاني قد حاول تكثيف نشاطه في البلدان الثلاثة: المغرب الجزائر، وتونس، وما يهمننا في هذا الإطار نشاطات الشيخ عبد الحي في الجزائر من خلال زيارته المتكررة، وربط علاقات مصاهرة، وعلاقات علمية وصوفية وأيضا أخوية مع بعض الصوفية في الجزائر، ولاسيما في كل من تلمسان ومعسكر وبوسعادة وطولقة وميلة.

تطرح هذه القضايا الكثير من التساؤلات والإشكالية عن حقيقة الدعوة الكتانية في الأوساط النخبوية والثقافية والطلابية، وعن كيفية استقبال رواد الطرق الصوفية في الجزائر-الشيخ الكتاني والطريقة الكتانية، وما إذا كانت الطريقة الكتانية تسعى من خلال مؤتمر الزوايا في شمال إفريقيا لاحتواء كل الطرق تحت لوائها، ولماذا بالضبط اختار الشيخ الكتاني الجزائر؟ ولماذا أولت الطريقة الكتانية للجزائر كل تلك الأهمية من خلال النشاط المكثف فيها أكثر من تونس ومصر؟ فماذا كانت الجزائر تمثل بالنسبة لهذه الطريقة وبالنسبة للشيخ الكتاني تحديدا؟ ويجدر بنا التساؤل أيضا عن جمعية العلماء المسلمين التي وتميزت برفضها التام لنشاط هذه الطريقة في الجزائر وشيخها جملة، وقد مثل هذا الموقف رئيس الجمعية البشير الإبراهيمي.

أوليات عن الطريقة الكتانية:

أما عن تأسيس هذه الطريقة؛ فإن رجالها يزعمون أنها تنقسم إلى قسمين: الطريقة القديمة "المحمدية"، والطريقة الجديدة "الأحمدية":

أ- الطريقة القديمة: الطريقة المحمدية الكتانية:

تنسب هذه الطريقة للعائلة الكتانية وهي فرع من السلالة الشريفة التي سكنت المغرب، تنحدر هذه العائلة من الأمير يحيى الثالث المدعو بالكتاني ابن عمران الذي ينسب إلى إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، فهم علويون على ما يصف الكتانيون أنفسهم، ويستدلون على ذلك بما ذكره القادري في كتاب الدر السني...، ولكن تجدر الإشارة أنهم لا ينقلون ذلك إلا كلاما غير موثق، كما لم أطلع -أنا شخصا- على هذا الادعاء في الكتاب المذكور لعبد السلام بن الطيب القادري، في طبعته الحجرية، بخط الشيخ حسن الكتاني، وهي نسخة من خزانة علي بن المنتصر الكتاني.

غير أن ما ذكره عبد السلام القادري عن انتساب الفرع الكتاني لا ينفصل عما هو معروف عن مجمل أخبار الشرفاء الأدارسة وما قيل فيه من صحة متفق عليها وفي ذلك يقول: «... لَهُمْ فِي النَّاسِ -عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْخُمُولِ- تَسْلِيمٌ مِنَ الْكَافَّةِ لِنَسَبِهِمُ الشَّرِيفِ وَقَبُولٌ، لَا يُخْفَى أَمْرُهُمْ وَلَا يُجْهَلُ قَرْزُهُمْ، وَهُمْ مِنْ بَنِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِدْرِيسَ الْخَلِيفَةِ بِقَاسَ بَعْدَ أَبِيهِ ثُمَّ مِنْ وَلَدِ حَفِيدِهِ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى، وَكِلَا هَآذَيْنِ -كَمَا عِنْدَ الْمُؤَرِّخِينَ- كَانَ بِقَاسَ أَمِيرًا...»⁽²⁾، ولكن يحيى بن يحيى المذكور لم يكن هو أول من تلقب بالكتاني، بل حفيده المسمى يحيى بن عمران بن يحيى الثاني، لهذا فإن ما تستند عليه المؤلفات التاريخية التي تناولت نسب الأسرة الكتانية نقلا عن كتاب الدر السني... ككتاب الرياض الربانية في الشعبة الكتانية وكذا النبذة اليسيرة في أحوال الشعبة الكتانية وغيرها، هو إثبات شرف يحيى الثاني المنسوبة إليه هذه العائلة وليس هو بالضرورة إثبات انتماء هذه الأسرة



للأصل الإدريسي، وتجدر بي الإشارة إلى أن كلامي هذا لا ينفي انتماء الكتانين للأصل الإدريسي، ولكنه يمس التأصيل المرجعي للنصوص التاريخية المتداولة في هذه القضية.

لا تمهنا العائلة الكتانية ولا نسبها بقدر ما يهمننا الطريق الذي اتخذته هذه العائلة للوصول إلى مجد الدنيا والدين، وقد بدا ذلك في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في ما يعرف بالطريقة الكتانية، وبعد ذلك بسنوات يتم بناء أول زاوية كتانية بفاس هي: "الزاوية الكتانية الكبرى" بحومة القطانين من عدوة فاس القرويين، حيث أسسها أبو المفاخر الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني (ت 1289 / 1872)، شيخ الطريقة المحمدية الكتانية.

تأسست الطريقة الكتانية عام 1266هـ / 1850م بفاس، كضرورة!! لاحتواء ما كان بالمغرب من فتن وتقلبات في الدين والسياسة والمجتمع⁽³⁾، لهذا أوجدت لها عددا من الزوايا في فاس والقصر الكبير، وزرهون ومراكش وغيرها من مدن المغرب وشنقيط، وفي المشرق أيضا؛ خاصة المدينة المنورة ومصر، وكان لمؤسسها نشاط ملحوظ في الميدان الدعوي⁽⁴⁾، وانتفع به خلق كثير من الناس والأعلام، وكم اهتدى على يديه من ضلال، وانطلق إلى باب الله من جاهل، حتى لقب بإمام الأئمة، كما يصفه الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

وكانت له كرامات ظاهرة وخوارق عادات، وما كان يبالي بها، إنما كان ديدنه كثرة العبادة لله تعالى وقيام الليل، والتهجد والصيام والنوافل، والابتعاد عن الشهوات، والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى عرف عند أهل بلاده - فاس - وزمانه بالصلاح والوقار والولاية.

ورحل إلى المشرق للحج ثلاث مرات، أخذ فيها عن أعلام المشرق؛ كالإمام العارف بالله محمد بن علي السنوسي الإدريسي. وأخذ عنه أعلام من المشرق؛ كالإمام العلامة حسين بن محمد الحبشي الباعلوي، شيخ الإسلام بمكة المكرمة، والإمام محمد بن يحيى الولاتي الشنقيطي الذي كان من خاصة أتباعه⁽⁵⁾.

ولد الشيخ أبو المفاخر عام 1819، وتوفي بفاس عام 1872، وترك أكثر من ثلاثين مؤلفا، ومنظومات شعرية، وأحزابا صوفية تزيد عن الأربعين. وقد خصه غير واحد بالتأليف، وخلفه في طريقته: ابنه الإمام العلامة العارف بالله؛ الشيخ أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني.

وهي طريقة محمدية قادرية شاذلية نقشبندية حسبما كان يصفها شيخها، وقد انتهت هذه الطريقة بظهور الطريقة الأحمدية الكتانية، وانضم باقي أتباعها إلى الطريقة الأحمدية الكتانية.



ب- الطريقة الباقية: الطريقة الأحمدية الكتانية:

وهي طريقة ربانية صوفية جامعة، أسسها الإمام أبو الفيض محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني عام 1308، وسنه لما يبلغ العشرين بعد، وهي الطريقة الباقية التي انتشرت مشارق الأرض ومغاربها.

أسس وأركان الطريقة الكتانية:

الأول: التوبة

الثاني: التقوى

الثالث: التماس الأعذار للعيان

الرابع: نظرة التعظيم لسائر مخلوقات الله بمفاهيمها الإسلامية العامة ومقتضيات ما ينبغي إدماجها في هذه المفاهيم من إصلاح وتقويم وتجديد.

محطات مهمة مرت بها الطريقة الكتانية:

— مرحلة النهضة الدينية والعلمية والاجتماعية: منذ سنة 1898 إلى ما بعد استشهاد !! مؤسسها.

— مرحلة النهضة الوطنية والسياسية: من عام 1904 إلى عام 1909، وفيها قامت الطريقة الكتانية بعدة إصلاحات سياسية واجتماعية.

— مرحلة المحنة والكبت: وهي من سنة 1909 إلى 1911، وابتدأت من اعتقال الشيخ محمد الكتاني لعدم رضاه بسياسة السلطان المولى عبد الحفيظ.

– مرحلة التجديد: من سنة 1911 إلى 1914، التي قام بها والد الشيخ المؤسس: عبد الكبير الكتاني.

– مرحلة نشر التعليم والتوجيه، من المغرب إلى المشرق، وذلك من سنة 1914 إلى سنة 1954، وكان رائدها الإمام الحافظ الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني.

– مرحلة رَأب الصدع وجمع الشمل، والاستعداد لعمل جدي قوي في سبيل تركيز دعائم الدعوة الإسلامية من سنة 1954 إلى الآن⁽⁶⁾.

الطريقة الكتانية في عهد عبد الحي وعلاقتها بالعمل الوطني:

في الجزء المحذوف من التحقيق* ذكر محمد باقر الكتاني في كتابه؛ ترجمة الشهيد الكتاني ما يلي: «ذَلِكَ أَنَّ وَلَدَهُ الثَّانِي السَّيِّدَ عَبْدَ الْحَيِّ الْكَتَّانِي الَّذِي أَصْبَحَ رَئِيسَ الطَّرِيقَةِ الْكَتَّانِيَّةِ بَعْدَ مَوْتِهِ وَكَانَ أَحَدَ قَادَةِ الْحَرَكَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ فِي عَهْدِ الْأُسْتِقْلَالِ السَّالِفِ، وَقَامَ بِأَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ لِصَالِحِ دِينِهِ وَوَطَنِهِ تَحْتَ قِيَادَةِ الْمُتَرْجِمِ، مَنْشُورَةٌ فِي الصُّحُفِ وَمُدَوَّنَةٌ فِي الْكُتُبِ وَمُتَوَّهَةٌ بِهَا فِي الظَّهَائِرِ الْمَلَكِيَّةِ»، وهذا ما يشير إلى أن الطريقة الكتانية برجالها ومنظومتها؛ كان لها دور ريادي في الحركة الوطنية المغربية، لا سيما في الأيام الأولى لفرض الحماية الفرنسية على المغرب، كما تدخلت الطريق الكتانية بكل وزنها للإطاحة بالمولي عبد العزيز، لخرقه العقود التي تنبني عليها صحة بيعة الناس له⁽⁷⁾.



انتقال مشيخة الطريقة إلى عبد الحى الكتاني:

في سنة 1915 توفي الملقب بجبل السنة سيدي عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني، الذي كان قائما على الطريقة الكتانية الباقية بالمغرب الأقصى منذ سنة 1911، ليتصدرها رسميا نجله الشيخ عبد الحى، لتدخل الطريقة الكتانية منعرجا حاسما في تاريخها، ذلك ان هذا الرجل - وإن كان يحظى بتزكية الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى-؛ إلا أنه لم يكن معترفا به من قبل بعض أنصار الطريقة الكتانية، ولا سيما أهل مدينة سلا، الذي اعتبروه مفروضا عليهم فرضا من قبل المستعمر الفرنسي، مغتصبا حق غيره من أبناء الشيخ أبي الفيض مؤسس الطريقة، وقد نبه الشيخ أبو الفيض في حياته عن مساوئ أخيه وظهر معاداته واتهمه ببعض الكبائر والعظائم⁽⁸⁾!!

يروي الدكتور تقي الدين الهلالي في كتابه الهدية الهادية... أن الشيخ عبد الحى الكتاني عدو لكل الطرق الصوفية، وأنه يعتبرها فقط وسيلة احتيال على أموال الناس باستعمال الدين والقداسة، وتسخير العباد واستعبادهم لخدمة أغراض شيوخ الطريقة والزوايا، وعندما رد عليه تقي الدين الهلالي أنه بهذا الكلام يعتبر أكلا لأموال الناس بالباطل باعتباره شيخا للطريقة الكتانية رد عليه بقوله: «أَنَا لَمْ أُؤَسِّسِ الطَّرِيقَةَ وَإِنَّمَا أَسَّسَهَا غَيْرِي، وَهَذِهِ الْأَمْوَالُ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُمْ أَنْفِقُهَا فِي مَصَالِحٍ لَا يُنْفِقُونَهَا هُمْ فِيهَا...»⁽⁹⁾، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكلام منطقي جدا، بل لا يخفى على الكثيرين في زماننا هذا شأن القادة اللذين يفكرون في مناصبهم ومكانتهم، لذا فإن شيخ الطريقة - وإن لم يصرح بقول مثل هذا-؛ إلا أنه في الواقع سيفعل به، وسيجد لنفسه تبريرا لأكل أموال الناس والتحكم في فيها، ولو لم يصرح بذلك.

علاقاته مع فرنسا:

سوف يكون الشيخ عبد الحي الكتاني -كشخصية تاريخية- مُلَزَمًا بما تذكره الوثائق التي يعتمد عليها الكثير من الباحثين في كتابة التاريخ، لهذا فإن ربطه أي علاقة مع قادة الاستعمار الفرنسي سيؤثر على تلك السمعة التاريخية، لا سيما وأن ما ناله من مكانة وسمعة كشيخ، حافظ، محدث، ومجدد!! ستؤخذ على اعتبار علاقاته الودية مع الفرنسيين المغتصبين للأرض والمعادين لأهلها، وهذا ما سيكون غريبا جدا لدى كل من يتعرف على شخصية الشيخ عبد الحي الكتاني، ما يجعل هذه الشخصية مثار الكثير من التساؤلات.

وأول ما يمكن أن نستعرضه في تلك المواقف؛ موقف بعض المنتمين للأسرة والطريقة الكتانية، أو اللذين اهتموا بتراث الشيخ عبد الحي الكتاني مثل الشيخ المحقق عبد الله الجباري، الذي حقق كتاب الإفادات والإنشادات، هذا الأخير الذي لاحظ ملاحظات هامة -ليست كلها محل اهتمامنا- منها ما يخص منهج الشيخ في تخريج الحديث والرواية وما إلى ذلك، فعبد الحي الكتاني روى هذه الإنشادات والإفادات عن طبقة شيوخه ومن هم في طبقته ومنهم دون ذلك، وروى أيضا عن علماء وأدباء من المغرب بشتى مدنه، ومن الجزائر وتونس ومصر وآستانة والحجاز وغيرها، لكن السؤال الذي طرحه الجباري؛ هو "لَمَّاذَا لَمْ يَرْوِ قَطُّ عَنْ عُلَمَاءِ الْحَرَكَةِ الْوَطَنِيَّةِ؟ وَلَكِنَّهُ رَوَى عَنْ أَبِي شُعَيْبٍ الدُّكَالِيِّ الَّذِي كَانَ مُوَالِيًا لِلْإِسْتِعْمَارِ!! وَرَوَى عَنْ مُفْتِي قَسَنْطِينَةِ الْمُؤَلُّودِ بْنِ الْمُؤَهَّبِ الَّذِي سَعَى لِمَنْعِ ابْنِ بَادِيسَ مِنَ التَّدْرِيسِ بِالْجَامِعِ الْكَبِيرِ، وَلَمْ يَرْوِ عَنْ شَيْخِ الْإِسْلَامِ بُلْعَرِيِّ الْعُلَوِيِّ أَوْ عَلَّالِ الْفَاسِيِّ أَوْ غَيْرِهِمَا، هَلْ كَانَ لَا يَلْتَقِي بِهِمْ ابْتِدَاءً؟ أَمْ كَانُوا يَنْبُذُونَهُ وَيَرْفُضُونَ مُجَالَسَتَهُ؟" سؤال جدير بالبحث والتنقيب⁽¹⁰⁾، ولكن لا يمكن أن يأخذ الباحث الموضوعي هذه القضية كدليل لإدانة أو اتهام الشيخ الكتاني بالحيدة أو الانحياز، فهذا لا يعد دليلا قاطعا لإثبات أو نفي شيء ما، فالشاهد المذكور فيما ذكر، لا المتروك فيما ترك.



وبالرجوع إلى الأسرة الكتانية نلاحظ أن ما ذكره محمد باقر الكتاني عن عمه عبد الحي؛ وذلك في ترجمته للشيخ الفيض الكتاني مؤسس الطريقة، فنجده جديرا بالاهتمام والتأمل، وقد يحوي في طياته ومعانيه حقدا حقيقا تجاه الشيخ عبد الحي الكتاني، ولعل ذلك راجع إلى قضية أشبه باغتصاب رئاسة الطريقة الكتانية، أو بتغيير مسار العمل الوطني والقومي لها، وذلك واضح وجلي في قوله: « أَقُولُ أَنَّ هَذَا الْوَلَدَ الثَّانِي سَلَبَهُ اللَّهُ التَّوْفِيقَ وَأَقْصَاهُ عَنْ حَظِيرَةِ الْإِصْلَاحِ فَتَبَدَّلَتْ أَفْكَارُهُ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، وَأَصْبَحَ يَرَى الْخَيْرَ شَرًّا وَالشَّرَّ خَيْرًا، وَمِنْ جُمْلَةِ أَرَائِهِ الْخَاطِئَةِ؛ إِجَابَتُهُ لِلْفَرَنْسِيِّينَ الَّذِينَ طَلَبُوا التَّعَاوُنَ مَعَهُ بِحُجَّةٍ أَنْ يَنْجُو مِنْ إِذَايَةِ عَبْدِ الْحَفِيزِ الَّذِي كَانَ يَهْدِدُهُ بِإِعَادَةِ الْفَقَاءِ الْقَبْضِ عَلَيْهِ كُلَّمَا أَوْصَلَ لَهُ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ نَبَأً يُقْلِقُهُ، وَقَدْ كَانَ سَبَقَهُ لِلتَّعَاوُنِ مَعَهُمْ جَمْعٌ مِنْ كِبَارِ الشَّخْصِيَّاتِ، وَمِنْهَا تَرْكُهُ لِمُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ فِي الْمِيدَانِ الْوُطَنِيِّ بِحُجَّةٍ أَنَّ رِجَالَ الدَّوْلَةِ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَجَهْلَةَ النَّاسِ لَمْ يُقَدِّرُوا الْأَعْمَالِ الَّتِي قَامَ بِهَا الرُّعَمَاءُ الْكُتَاتِيُّونَ، بَلْ أَسَاءُوا إِلَيْهِمْ قَبْلَ الْمِحْنَةِ وَأَثْنَاءَ الْمِحْنَةِ بِمَا يَحْتَاجُ ذِكْرُهُ إِلَى كِتَابٍ، وَلَمْ يُحَدِّثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالتَّدْخُلِ لَدَى عَبْدِ الْحَفِيزِ لِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِمْ حَيْثَمَا. وَمِنْهَا عَزْمُهُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ كُلِّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ وَإِلَى عَائِلَتِهِ بِفَضْلِ النُّفُوزِ الَّذِي سَيَتَمَتَّعُ بِهِ مِنَ الْفَرَنْسِيِّينَ »⁽¹¹⁾، إذن فشخصية الشيخ الكتاني حسب ابن أخيه شخصية مختلفة، تسعى للانتقام والوصول إلى الجاه الأكبر، مسخرا كل الإمكانيات للوصول إلى تلك الغايات، وهذا ما سمعه الشيخ تقي الدين الهلالي من الشيخ الكتاني مباشرة، من خلال ما أسر له؛ أنه لا يؤمن لا بالطرق ولا بالطريقين، ولكنها وسيلة فقط لنيل مكاسب دنيوية⁽¹²⁾.

تدخل الكتاني في الكثير من القضايا السياسية الحساسة، وقد ألف في ذلك الكثير من المقالات والرسائل نذكر منها على سبيل المثال؛ مفاكمة ذوي النبل والإجادة، حضرة مدير جريدة السعادة، في شروط البيعة ونواقضها وما يتعلق بذلك، وأيضا رسالة في أهل الحل والعقد من هم؟ وكذا رسالته المعنونة بالنصيحة للسلطان المولى عبد الحفيظ، وفي كتابه المذكور أولا؛ نجد المؤلف في الكثير من المرات مشيدا بالشخصيات الوطنية التي جاهدت من أجل إعلاء كلمة الدين والقيام بأمر الجهاد ونصرة الدين وأهله، كما نجده أيضا يشدد على من استعان بغير المسلمين على المسلمين، واصفا إياه بالردة والكفر⁽¹³⁾!!، وقد أتى بأمثلة من التاريخ الأندلسي والمغربي الكثير من الشواهد، مثل ما حدث للمعتمد بن عباد والفقير العياشي والمولى محمد الشيخ المأمون السعدي وغيرهم، وبالجمل فإنه جعل الارتقاء في أحضان العدو لا يجوز شرعا؛ بل هو ردة، هذه الأفكار التي ناقشها وفصل فيها بطريقته؛ أدخلته في متاهة، بل أدخلت كل رجالات الطريقة الكتانية في ما يمكن أن نسميه نكبة الأسرة الكتانية.



الارتقاء في أحضان المستعمر الفرنسي:

لقد عانى الشيخ عبد الحي الكتاني الكثير من ويلات السجن على يد المخزن المغربي، مما أثر هذا سلبا على شخصية الشيخ عبد الحي ونفسيته، ففي الوقت الذي أصبح فيه الشيخ يشعر أنه بحاجة إلى نصير معين، لمساعدته على تثبيت عرشه على رأس الطريق الكتانية، وجد نفسه في أحضان المستعمر الفرنسي الذي لن يرفضه، وأيضا لن يرفض أي طرقي يمكنه أن يتعايش مع فرنسا.

وقبل هذا كان الشيخ عبد الحي يعلن صداقته وعلاقاته مع بعض الشخصيات الفرنسية كالجنرال هوبر ليوطي *Louis Hubert Gonzalve Lyautey*، حبيب الأمة المغربية!!⁽¹⁴⁾، كما نجده يحضر في تأبين الكونت هنري دي كاستري*، وألقى خطابا مؤثرا في هذه المناسبة، ضمنه مدح وثناء على ضابط العساكر الفرنسية⁽¹⁵⁾.

وقد تأكدت صداقة الشيخ مع الفرنسيين إثر قضية إزاحة محمد بن يوسف عن العرش الملكي، هذه القضية قصمت ظهر الكتاني والكتانيين الثانية التي مفادها أن الشيخ عبد الحي ناصر بن عرفة ضد بن يوسف في 1953 والذي عبر عنه إدريس المودن بقوله: « أَكْسَبَهُ صُورَةُ "الْخَائِنِ" بِامْتِيَاذٍ، مِمَّا سَاهَمَ فِي تَطَوُّرِ الصُّورَةِ النَّمَاطِيَّةِ الَّتِي وَظَفَتْهَا الْحَرَكَةُ الْوَطَنِيَّةُ وَأَخْزَأُهَا لِلتَّسْوِيقِ لِنَفْسِهَا مُسْتَغْلِلَةً هَذَا الْمُعْطَى، خُصُوصًا أَنَّهُ مُنْذُ الثَّلَاثِينَ قَامَتْ فَرَنْسَا بِمُسَاعَدَةِ الْكَتَّانِي فِي تَكْوِينِ رَابِطَةٍ لِلرَّوَايَا الْمُنَاصِرَةِ لَهَا فِي شَمَالِ إِفْرِيقِيَا الْفَرَنْسِيَّةِ، كَمَا فَعَلَتْ فِي غَرْبِ إِفْرِيقِيَا حَتَّى تُحْجِمَ دَوْرَ الرَّوَايَا الْمُنَاوِيَّةِ »⁽¹⁶⁾، غير أن محمد الباقر الكتاني لا يرى في ذلك سوءا على الطريقة الكتانية لأنه يحصر ما سماه "بالمؤامرة!!"⁽¹⁷⁾ على

القضية المغربية؛ يحصرها فيمن باء بإثمها وهو عمه الشيخ عبد الحي الكتاني دون بقية الكتانيين، على اعتبار أن بقية الكتانيين قد انعزلوا عنه وانضموا إليه هو، لأنه يرى نفسه وريث طريقة أبيه⁽¹⁸⁾.

كما أن الشيخ الكتاني أصبح يرى أنه من الضروري البحث عن حلفاء وأصدقاء طريقين خارج المغرب الأقصى، ومن هنا كانت الجزائر وتونس ومصر وجهته المليئة بالطموحات، وسيساعده في ذلك الفرنسيون.

زيارة الشيخ عبد الحي الكتاني للجزائر:

لقد كان الشيخ الكتاني يعلم أن طموحاته الكبيرة لا يمكن أن تنفذ في المغرب الأقصى حسب ما يريده، في ظل وجود الكثير من رواد الحركة الوطنية على اختلاف مشاربهم، والذين لا يثق فيهم بالقدر الكافي لاختلاف ميولاتهم وتنوع مشاربهم، لذا فلا غرو أن نجده يوجه أنظاره إلى الجزائر منذ نهاية العشرينات من ذلك القرن.

لا بد أن تكون زيارة الشيخ عبد الحي الكتاني للجزائر غزيرة بالفوائد، من حيث المحطات التي توقف عندها والشخصيات الصوفية التي حظيت بلقائه، والترتيبات الخاصة لاستقباله، فمن تلك المحطات نذكر مدينة معسكر وتلمسان في الغرب الجزائري، وقسنطينة وبسكرة في الشرق، لا سيما وأن سمعته وشهرته العلمية قد وصلت قبله، ففي أول زيارة للشيخ الكتاني كان الشيخ عبد الحميد بن باديس قد أعد له قصيدة مدح من نظمه زادت في تلك الشهرة وتلك السمعة على وفيها قوله:

تَبَدَّى السَّعْدُ فِي الْخُلَلِ الْبَهِيَّةِ *** وَعَمَّ الْبُشْرُ فِي هَذِي الْبَرِّيَّةِ
وَأَجْنَانَا الزَّمَانُ عَلَى سَخَاءٍ *** ثِمَارَ الْأُنْسِ سَائِغَةً هَنِيَّةً
فَحَلَّ بِأَرْضِنَا حَبْرٌ كَرِيمٌ *** لَهُ فِي الدِّينِ أَثَارٌ جَلِيَّةٌ



وله في مدحه قصيدة أخرى جاء فيها:
أَهْلًا بِأَكْرَمِ زَائِرٍ سَعِدَتْ بِهِ *** بَلَدٌ غَدَتْ تَهْتَزُّ كَالنَّشْوَانِ
وَتَبَادَلَتْ أَيْ التَّهَانِي رِجَالُهَا *** فَكَأَنَّهَا فِي الْعِيدِ وَالْغُفْرَانِ
يَا أَيُّهَا الضَّيْفُ الْمَكْرَمُ مَرْحَبًا *** شَرَفْتَنَا، فَانْزِلْ أَجَلَ مَكَانٍ

وأخرى ثالثة جاء فيها:

بُشْرَى فَقَدْ جَادَ الزَّمَانُ وَأَنْعَمَا *** فَعَدَا الْفُؤَادُ مِنَ الْمَسَرَّةِ مُفْعَمَا
قَدْ حَلَّ حَبْرُ الدِّينِ فِي بَلَدِ الْهَوَى *** لَيْسَتْ بِهِ جِلِّي الْجَمَالِ مُحْتَمَمَا
أَحْيَيْتَ عَبْدَ الْحَيِّ مِنَّا أَنْفُسًا *** وَأَرَيْتَنَا الْخَلْقَ الْكَرِيمَ مُجَسَّمَا

تكررت زيارات الشيخ عبد الحي الكتاني للجزائر وتونس، ولم تكن تلك الزيارات اللاحقة أقل شأنًا من الأولى، من حيث غزارة الفائدة واجتماعه بالشخصيات الدينية والصوفية وحتى الفرنسية، ونذكر على سبيل المثال قدومه على الزاوية الحملاوية بواد العثمانية من عمالة قسنطينة⁽¹⁹⁾، ليتم التنسيق بين الزاويتين حول الموسم السنوي للطريقة الكتانية في مدينة فاس الذي سيحضره أربعون جزائري، سيكونون في ضيافة الشيخ عبد الحي والطريقة الكتانية⁽²⁰⁾، وقد استجاب لهذه الدعوة ثلاثون شخصية حضرت الاحتفال فعليا⁽²¹⁾.

وفي أرشيف الداخلية الفرنسي تتحدث النشرة الشهرية للقضايا الإسلامية لشهر سبتمبر 1949، أن الشيخ عبد الحي الكتاني سيمثل المدرسين التقليديين "الطريقين"، في الوقت التي تذكر الوثيقة مشايخ آخرين كالشيخ العاصمي مفتي الحنفية بالعاصمة، والشيخ لخضاري عبدالي من قسنطينة⁽²²⁾.

لقد وسع الشيخ الكتاني نفوذه في أقاليم بعيدة في العمق الجزائري، بل الأمر قد وصل إلى أن الشيخ الكتاني نفسه كان بصدد تعيينه حاكما من قبل

السلطات الفرنسية على إقليم القنادة بعين الصفراء في حدود شهر جانفي سنة 1953، خلفا للعرج عبد الرحمن الذي ذكر في التقرير على أنه غير ذا فعالية وتأثير في إقليم الحدود الجزائرية المغربية، لهذا فإنه سيستبدل بالشيخ الكتاني، الذي أسندت له رسميا رئاسة *la Fédération de confréries du Maroc oriental*، أو اتحاد الأخوية للمغرب الشرقي، وهو ما أشير إليه أنها هيئة قد أسست حديثا جدا⁽²³⁾، وكان قبل ذلك قد ترأس مؤتمر اتحاد الزوايا الصوفية بالشمال الإفريقي وتحت الرعاية الفرنسية سنة 1939، وهذه فقد جندت فرنسا الشيخ عبد الحي الكتاني لجمع كلمة شيوخ الزوايا الصوفية في الشمال الإفريقي للوقوف معها لمواجهة مجاهدي الحركة الوطنية الذين قد يشكلون خطرا على الوجود الفرنسي بالشمال الإفريقي، وأخص بالذكر أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

موقف الشيخ البشير الإبراهيمي من نشاطات الطريقة الكتانية في

الجزائر:

لا يمكن حصر علاقات رجال الطريقة الكتانية -وعلى رأسهم الشيخ عبد الحي- مع الجزائر والنخب التقليدية الجزائرية في موقف واحد، ولكننا يمكن أن نجعل مواقف النخبة التقليدية الجزائرية على نقيضين، الموقف الأول يمكن أن نسميه الموقف الطرقي، الذي يتزعمه رجال كل من الطريقة الهبرية والرحمانية، ولعل من أهم الأسماء التي يستشهد بها في ذلك الشيخ مصطفى القاسمي الهاملي البوسعادي، والشيخ محمد الفاضل بن الطاهر بن عاشور والمكي بن عزوز، أما الموقف النقيض تماما هو موقف جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها الشيخ البشير الإبراهيمي.

لم يكن الشيخ البشير الإبراهيمي الذي خلف عبد الحميد بن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متغافلا عما يحدث على الساحة السياسية والثقافية والإعلامية، بل كان يتابع التطورات أولا بأول، ولكنه فضل الصمت أول الأمر بخصوص مؤتمر الأئمة، لأنه اعتبرهم "مَغْرُورِينَ فِيمَا أَتَوْا هَذِهِ



الْمَرَّةِ إِلَّا وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ، تَعَوَّدَتِ الْحُكُومَةُ أَنْ تُخَطِّطَ لَهُمَا فَيَنْقِذَا، وَأَمَّا رِجَالُ الزَّوَايَا، فَلَوْلَا ذَلِكَ الْعَامِلُ الْجَلِيبُ؛ لَمَا أَقْدَمُوا عَلَى مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِنَّ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ لَعَظِيمٌ، وَلَا يَجُوزُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ⁽²⁴⁾، وأخيرا قرر الشيخ البشير الإبراهيمي أن يتصدى لنشاطات الشيخ الكتاني في الجزائر باعتباره أداة يستخدمها المستعمر الفرنسي كما يشاء، أو "يديره كما شاء"، يُحَرِّكُهُ لِفِتْنَةٍ فَيَتَحَرَّكُ، وَيَدْعُوهُ إِلَى تَفْرِيقِ الصُّفُوفِ فَيَسْتَجِيبُ، وَيَنْدُبُهُ إِلَى التَّضْرِيبِ وَالتَّخْرِيبِ فَيَجِدُّهُ أَطْوَعَ مِنْ بَنَانِهِ⁽²⁵⁾.

وإن المتبع للمقال الذي كتبه الشيخ البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر سيتوقف طويلا أمام المعاني التي أضمرها وراء مصطلحاته التي تشير وبكل صراحة إلى إيديولوجية الصراع القائم بين الطرق الموالية أو المتعاملة مع الاستعمار الفرنسية وبين الجمعية العلماء المسلمين المحافظة نوعا ما، ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله: «وبلغنا ما وقع في المؤتمر بالتفصيل أيضا، حتى أسماء الحاضرين والخطباء...، حتى قام طالب مأجور يعدونه من أتباع الأتباع، فذكر جمعية العلماء... أنها جمعية وهابية...، ونحن هنا لا يهمنا ذلك كله كما لا يهمنا ما نشرته الجرائد الفرنسية من مقاصد وغايات، لأننا نعلم الحقيقة علم اليقين»⁽²⁶⁾.

وبعد أن يفصل الشيخ البشير الإبراهيمي في مقاله أفي كل حي عبد الحي؟ في مطالب جمهور العلماء ترأسهم في هذا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ التي تتلخص مجملها في فصل الدين عن الحكومة الفرنسية، دون رفع يد الإعانة المادية والتخلي التام عن الجان الديني، أو يمكن أن نلخص ذلك في مطلب عدم توجيه واستخدام الدين من طرف فرنسا ولا رجال الدين ولا المؤسسات الدينية

فيما يخدم الاستعمار والمستعمر، ليختم كل هذا بسؤال وجيه "مَنْ هُوَ عَبْدُ الْحَيِّ؟ وَمَا شَأْنُهُ؟" (27) ما شأنه من كل تلك التغيرات وكل تلك المطالب الوطنية والشعبية؟ وعلى الرغم من أن حكم الشيخ البشير الإبراهيمي على الكتاني يعتبر قاسيا جدا، إلا أنه كان واضحا لا يشوبه الغموض، بل وأوضح حتى من مما أعلنه المؤتمرون في مؤتمر الزوايا في 15 مارس 1948 "وَكَاَنَّهُ أَصْغَرَ الْمَغْرِبِ- عَلَى سَعْتِهِ- أَنْ يَكُونَ مَجَالًا لِأَلَاعِيْبِهِ!! وَمَكَايِدِهِ!! فَجَاوَزَ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ الْحُدُودَ، وَتَخَطَّى الْأُحْدُودَ، وَانْدَفَعَ إِلَى الْجَزَائِرِ وَتُونِسَ لِيَبْتَ فِيهِمَا سُمُومَهُ، وَيَتَّخِذَ مِنْهُمَا مَلْعَبًا جَدِيدًا لِرِوَايَتِهِ الَّتِي مِنْهَا مُؤْتَمَرُ الزَّوَايَا بِالْجَزَائِرِ، وَلِيَقُومَ لِلْحُكُومَةِ بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ مِنْ اسْتِنْلَافِ النَّافِرِ، وَاسْتِنْزَالِ الْعَاقِ، وَلِيُوحِدَ بَيْنَ الْأَقْطَارِ الثَّلَاثَةِ وَلَكِنْ بِالتَّفْرِيقِ، وَلِيُنْقِذَهَا مِنَ الْبَحْرِ وَلَكِنْ بِالتَّغْرِيقِ" (28).



خاتمة:

بعد كل ما جاء في متن المقال يمكننا الوصول إلى مجموعة من الملاحظات والمستخلصات في شكل خاتمة عامة ونلخصها كالتالي:

- لا شك أن كل قطر من الأقطار العربية المستعمرة خلال النصف الأول من القرن العشرين له خواصه ومميزاته التي انفرد بها عن غيره، ومن ضمن ذلك خصوصية الحركة النضالية، التي نصلح عليها عادة "الحركة الوطنية"، فالحركة الوطنية المغربية التي تفاعلت داخل إطارها المغاربي الكبير؛ كانت نشطة إلى حد ما ومختلفة أيضا في توجهاتها ورؤاها واقتراحاتها لما يخدم الصالح العام في المغرب الأقصى، لهذا لا يمكننا أن نزايد أو ننحاز إلى جهة ما دون الأخرى، أو أن ننتقص من تيار أو حزب أو شخصية مهما كان نوعها، لأن كل الحركة الوطنية بثقلها في شكل أحزاب وشخصيات وتيارات فكرية وسياسية؛ كلها ذات أثر قوي وإيجابي.

- لا ينكر أحد المكانة التي حظي بها الكتاني في العالم الإسلامي شرقا وغربا، من حيث تكوينه كعالم ومحدث وفقه، بل ومجتهد، ومن حيث مؤلفاته التي انتشرت بين الناس، وكذا من حيث نجاحه في تكوين علاقات مختلفة سواء من داخل أهل التصوف عامة والطريقة الكتانية خاصة، وكذا داخل الأوساط السياسية والنخب المختلفة والبلات الملكي، وأيضا لدى شخصيات فرنسية وقيادات عسكرية، وأن نخترل مسيرته عامة في سطر أو كلمة واحدة من كلمات التعظيم أو التقدير؛ فإن هذا يجانب الصواب وليس من العلمية في شيء.

- وصل الشيخ عبد الحى الكتاني إلى القيام بأمر الطريقة الكتانية في وقت صعب جدا، يتمثل في زعزعة الثقة بين رجال الطريقة أنفسهم وبين الطريقة والبلات

الملكي من جهة أخرى، وهو ما أخلّى الجو للمستعمر الفرنسي للتقرب أكثر من أهل هذه الطريقة وعلى رأسهم الشيخ عبد الحي الكتاني، ولربما ذلك ما جعل الكتاني وبعض الكتانيين يتوجهون لحليف ثان هو المستعمر الفرنسي.

- الشيخ عبد الحي الكتاني زار الجزائر أكثر من مرة، ولا بد أن تكون الزيارات الأخيرة متزامنة مع تغييره لبعض القنوات وبعض السياسات، ومنها اقتناعه بالبحث عن مجال ليرسخ فيه سلطته الخاصة، هذا الهدف ستساعده فيه فرنسا التي تبحث عن تقسيم المقسم وتفتيت المفتت، فلا غرو أن نجد استقبال الجزائريين له أول مرة على أساس أنه شيخ محدث وحافظ مجدد، بينما اختلف استقبالهم له في الزيارات التالية، إذ اقتصر الاستقبال على رجال التصوف فقط دون غيرهم، كما اختلفت ردود الأفعال بالنسبة لغيرهم، كالشيخ الإبراهيمي مثلا.

- كشفت التقارير والوثائق الأرشيفية أن الشيخ الكتاني كان يسعى للنفوذ والرئاسة، بعد أن تمكن من حيازة الأموال ونيل الشهرة والسلطة الروحية، فحاول مد نفوذه في أقاليم بعيدة في العمق الجزائري، وقد سبق في هذا المقال الإشارة إلى أن الشيخ الكتاني كان يستعد لتعيينه حاكما من قبل السلطات الفرنسية على إقليم القنادسة بعين الصفراء في حدود شهر جانفي سنة 1953، لذا فلا عجب أن تكون كل الزيارات والنشاطات التي قام بها الكتاني على غرار مؤتمر الزوايا ومؤتمر الأئمة كلها كانت تمهيدا لجمع الكلمة الصوفية تحت راية واحدة، هي فعلا ليست راية الاستعمار، ولكنها راية الطريقة الكتانية.

- موقف الشيخ البشير الإبراهيمي من الكتاني وزياراته ونشاطاته كانت واضحة، وصريحة وطبيعية جدا، لاختلاف المنطلقات التي انطلق منها كل من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والطريقة الكتانية، بل إن الجمعية كانت ترى في تلك الطرق وأولئك الطريقين؛ كلهم متخاذلون في نصرة الحق والدفاع عن



الدين وعن الأمة وعن الوطن، بل كانت تسعى لتخليص العوام والشعوب من
تأثير هؤلاء الطريقين السلبي على العقول.

مجلة الدراسات التاريخية

الملحق الأول: الصفحة 239 من الصفحات المحذوفة من كتاب ترجمة

الشهيد الكتاني، محمد باقر الكتاني.

رضي الله عنه يجب بأن كل من رضى بحكم الكفار بعد كافر في نظر الاسلام
ومن أجل ذلك يجب تجديد الإيمان وخوض معركة الكفاح بهذا حدثني جمع
من الأخوان وفيهم من لا يزال حيا إلى الآن .

وبعد رجوعه من رحلته بنحو سنة أشهر التحق بالفريق الأعلى بمدينة
يوم الخميس 26 ربيع الأول سنة 1333 فأنهذ بموته صرح من صروح الاسلام
لم يشهد إلى الآن كما فتح مونه على الطريقة الكتانية باب الحسن والأحوال
ذلك أن ولده الثاني السيد عبد الحي الكتاني الذي أصبح رئيس الطريقة
الكتانية بعد موته وكان أحد قادة الحركة الإسلامية والوطنية في عهد
الاستقلال السالف ، وقام بأعمال جليلة لمعالجة دينه ووطنه تبنت قيادة
الترجم منشورة في الصحف ومطبوعة في الكتب ، ومنوه بها في الظواهر
الملكية ، قال أن هذا الولد الثاني سلبه الله التوفيق ، والعباء عن حظيرة
الإصلاح ، فنبذت أفكاره رأسا على عقب ، وأصبح يرى الخير شرا ، والشرا
خيرا ، ومن جملة أزماته الطاغية أجهته للفرنسيين الذين طلبوا التعاون
معه يهجه أن ينجو من أذى عبد الحفيظ الذي كان يهدمه بأعادة الفاء القبيح
عليه كلما لومل إليه شاطئ من الأنس نيا يلقفه وكان قد سبقه للتعاون معهم
جمع من كبار الشخصيات ومنها تركه لمواصلة العمل في الميدان الوطني بجهة
أن رجال الدولة وجماعة من كبار العلماء ، وجهلة الناس لم يقدروا الأعمال
التي قام بها الزعماء الكتانيون بل أساءوا إليهم قبل المحنة ، وأثناء المحنة
بما يحتاج لأكره إلى كتاب ولم يحدثوا أنفسهم بالتدخل لدى عبد الحفيظ
لإطلاق سراحهم حيث ومنها عزمه على الانتقام من كل من أساء إليه وإلى عائلته
بغفل النفوذ الذي يستمتع به من الفرنسيين .

نعم أصبحت بيته وبينهم حالات متينة وصاروا يزورون منزله في كل
مناسبة وخصوصا في الذكرى السنوية التي كان يقيمها لوالده المقيس ،
وأباحوا له التجول في البادية في كل سنة ونظموا له الاستقبالات المدعشة ،
فكان ما ذكر مدعاة إلى الابتعاد عنه من طرف ابنه المترجم ولجأه الطريقة
الكتانية ومدعاة إلى تأسيس جبهة المعارضة بقيادة شقيقه الأكبر الشيخ محمد
الهدى رحمه الله

ومما أثار على توسيع شبه الطلاق كتابته لوثيقة تتضمن نفس
منهجة الطريقة الكتانية وتأسيسها عن المترجم ونسبة ذلك إلى جدنا أبي
المغافر الشيخ محمد بن عبد الواحد الكتاني قدس سره وقام ولده الشيخ
عبد الكبير بها منذ وفاة والده سنة 1380 إلى سنة موته 1333 والاعتصار على
القول بأن المترجم ظهر بالطريقة في حياة والده وجعل للطريق بسببه دواج
واشتهار فقط والتأكيد بأن التلوي أمرها بعدد هو السيد عبد الحي المذكور



الملحق الثاني: الصفحة 240 من الصفحات المحذوفة من كتاب ترجمة الشهيد الكتاني، لمحمد باقر الكتاني.

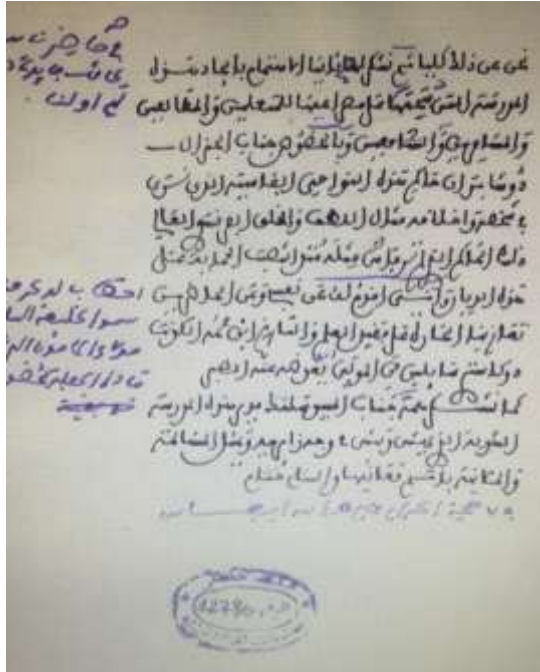
في حين ان كل الناس يعلمون ان جدنا ابا المفاخر كان شيخا ومؤسسا
للمطبعة الكتانية المحمدية التي كانت موجودة بفاس وبعض المدن القريبة منها
في الربع الاخير من القرن الماضي واولا هذا القرن لم افرقت بانقرض
ميردها وبانت زوالها الطريقة الكتانية الاحمدية التي اسسها المترجم وهو
دون العشرين من عمره ولم يكن قد سبق المترجم بهذا العمل الا تحويل
انظار المريدن الكتانيين عن المترجم وابناء المترجم وتوجيهها اليه وقصرها
عليه فكانت فتنة عمية شغلت المريدن حبيبة من الزمن ، وحوالت بينهم وبين مواصلة
العمل بجد في الميدان الوطني وجعلتهم يشتغلون بعمل الواجب لتفدية مدعاة
ومآثر محاسنهم لا تخلو من الحديث في هذا الموضوع . وقد احتوت وثيقة
العم على مئات من امضاءات الشخصيات الرسمية البارزة التي كانت لماريه
فتشهد الزور محافظة على مناسبتها بينما كانت مواجب الاخوان مستحقة على
مئات من امضاءات المريدن الذين يعرفون الحقائق ولا يكتفونهم ورجال العلم
والدين الغير الرسميين .

ولم يقتصر النزاع على اقامة الواجب والحديث في المجالس بل تعداه
الى ميدان التأليف فالف كل من العم والسنيق الاكبر وبعض علماء الطريق
مؤلفات ورسائل ، ونشروا واثقوا ومستندوا .

وانما هذا العراك كان حاكم فاس الفرنسي يوجه استدعاء في كل شهر
لرئيس جبهة المعارضة وكان يصله قبل الموعد المقرر للمقابلة بايام ليتزكك
في القصد منه وحينما تتم المقابلة بعد التظافر قد يطول الساعة والساعتين
يفاجأ بالتهديد والوعيد فاذا سأل عن السبب ذكر له انه كتب رسالة للاخوان
بالقبيلة الفلانية يدعوهم فيها للمقاومة ، وكانت الاسباب لتعدد تباعد
الاستدعاءات وكان الرئيس يتنكر صديق تلك الاسباب ويصرح بان مراسلاته
لا تتجاوز نطاق الوعظ والارشاد ولما تكرر ذلك قصد عاصمة الرباط للمقابلة
جلازة السلطان ابي الحاسن مولاي يوسف رحمه الله لتقديم شكوى اليه
بحاكم فاس وشرح موقفه من عمه الذي سلبه كثيرا من حقوقه وحقوق اخوته
وتغالي في اذيتهم وقد بدل السلطان كل ما في وسعه لتخفيف الآلام عنه
واتخذ عدة تدابير من اجل ذلك واخيرا رغب منه ان يقيم بالرباط ليكون على
مراقبته وصمم . فاجاب رغبته واقام به ثلاث سنين كان يوجه الاخوان منها
توجيها وشبها ثم بدا له ان ينقل العائلة من فاس الى الرباط فتم ذلك سنة
1339 وفي الرباط دعاني لتسيير شئون الطريق بجانيه فكنيت بـ"مقاوم حقائق"
الدروس للوفود واجهه الرسائل الارشادية للاخوان واسافر بطريقة سرية
لعدة جهات بالبادية لان ابنا المترجم كانوا معشوقين من السفر للبوادي طيلة

الملحق رقم 03: وثيقة لعلها بخط الشيخ عبد الحي الكتاني كتبت

بمناسبة وفاة الكونت هنري دي كاستري.



مخطوطات الخزانة الملكية، الرباط، تحت رقم 12780



الهوامش:

(1) تجدر الإشارة إلى أن وفاة الشيخ أبي الفيض كانت قمة في التراجيديا والمعاناة الإنسانية وهو ابن السبعة والثلاثين سنة، حيث أمر السلطان عبد الحفيظ يوم السبت 17 ربيع الأول 1327 هـ / 1909م بجلد الشيخ ألفي جلدة في ساحة سجنه بقصر أبي الخصيصات في حضور والده وولده وشقيقه عبد الحي الكتاني، وذلك بعد مناظرة طويلة حضر فيها الأعيان والعلماء، وكان يردد أثناء الضرب "اللهم إن كان هذا في رضاك فزدني منه"، ومات بعد تلقي حوالي 500 جلدة بعد أن ساءت حالته الصحية والنفسية، وذلك صبيحة يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني من نفس السنة، وقد أخفي خبر وفاته عن الناس، ودفن بتكتم شديد، ثم طمس قبره، ولعل شيئاً من هذه الصور المؤسفة؛ قد دونها الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه ما علق في البال أيام الاعتقال، وقد ذكر الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه التصور والتصديق...: -ما أوله البعض- أن السلطان عبد الحفيظ ندم على معاملته السيئة مع أبي الفيض الكتاني وطلب الشفاعة والتوبة على يد الشيخ محمد بن الصديق الغماري الشاذلي طريقةً، وأن هذا الأخير رفض لقاءه رغم مكوثه "أزِيدَ مِنْ شَرِّهِنَ يَتَمَلَّقُ وَيُرْغَبُ وَيَتَوَسَّلُ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ، فَمَا أَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ وَلَا رَأَى فِيهِ الْوَسَائِلَ وَالشَّفَعَاءَ الَّذِينَ طَالَ تَرَدُّدُهُمْ إِلَيْهِ وَالْحَاحُظُ عَلَيْهِ فِي الْأَجْتِمَاعِ لِأَخْذِهِمُ الْأُمُوالَ الْكَثِيرَةَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ عَبْدِ الْحَفِظِ!!"، أنظر: أحمد بن محمد بن الصديق لغماري، التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق، مكتبة الخانجي ومطبعها، القاهرة، 1366هـ، ص1266، أنظر أيضاً محمد الباقر الكتاني، شرف الأماني بترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني، تحقيق نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، ص 429، 430.

(2) عبد السلام القادري، الدر السني في بعض من بفاس من النسب الحسيني، مخطوط بالخزانة العامة، الرباط، رقم د.1456، ص38.

(3) محمد الباقر الكتاني، شرف الأماني بترجمة سيدي محمد الكتاني، تحقيق نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، ط1، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص82 وما يليها.

(4) المصدر نفسه، ص86 وما يليها.

(5) المصدر نفسه، ص 171 وما يلها.

(6) عبد اللاوي خليفة، "الكتانية" المغربية.. الإصلاح والثورة من جبة الزوايا،

<https://islamonline.net/342>.

* أنظر الملحق الأول والثاني في هذا المقال.

(7) أنظر الفصل الخاص بشروط الإمامة في رسالة عبد الهي الكتاني، مفاكهة ذوي النبل والإجادة؛

حضرة مدير جريدة السعادة، ص 6 وما يلها.

(8) هذا ما نقله صاحب كتاب الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية عن الشيخ عبد الله بن سعيد

العلوي، أنظر: محمد تقي الدين الهلالي، الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية، ط 2، ص 12.

(9) الهدية الهادية، ص ص 13، 14.

(10) عبد الله الجباري، الإفادات والإنشادات للشيخ عبد الهي الكتاني -قراءة ثانية-، شبكة ضياء

للدراستات والمؤتمرات، النسخة الإلكترونية.

(11) أنظر الملحق الأول في نهاية هذا المقال.

(12) ولكن هذا الأمر يؤدي بنا إلى مفارقة مع ما كتبه الشيخ الكتاني حيث سخر الكثير من النقول لإثبات

شرعية ومشروعية الذكر الجماعي في الحضرة الصوفية، وذلك في كتاب ألفه بالشيخ، وهو

بعنوان رسالة في مشروعية الذكر بالرقص وإجماع الطرق الصوفية على ذلك، تقديم ومراجعة

محمد حمزة بن علي الكتاني، حققه عدنان بن عبد الله زهار، أنظر أيضا: تقي الدين الهلالي، مصدر

سابق، ص 14.

(13) تجدر الإشارة إلى أن هذه الصفات كلها ألقى بها على المولى عبد العزيز بن الحسن العلوي حاكم

الرباط 1894- 1908م، أنظر عبد الهي الكتاني، مفاكهة ذوي النبل والإجادة...، ضمن كتاب رسالتان

في الإمامة العظمى، تحقيق هشام بن محمد حيجر الحسني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971،

ص 114 وما يلها.

(14) رسالة في تأيين دو كاستري، لعبد الهي الكتاني. مخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم : 12780.

* كان هنري دي كاستري من المهتمين بالتاريخ الإسلامي وحضارة الإسلام، ولعله في كتابه الذي نشره أول

مرة سنة 1906 تحت عنوان: «L'Islam Impressions et Études» وحسب الكثير من الباحثين؛ قد

أنصف الإسلام والمسلمين، غير أنه كان قد ألقى سنة 1879 تصريحاً يظهر فيه رؤيته التي لا تتعارف

مع المشروع الاستعماري الفرنسي، يؤكد فيه أن المغرب جزء ضروري لاكتمال الإمبراطورية الفرنسية

بالشمال إفريقيا، فحتى موضوعيته وحبه للإسلام أحيانا لم ينفيا عنه أنه ذا مشروع استعماري

رفقة جيله من الضباط الفرنسيين،



HENRY DE CASTRIES, L'Islam Impressions et Études, 4^{ème} ÉDITION, Librairie Armand Colin, Paris, 1907, p3 et s.

(15) أنظر الملحق رقم 03 أسفل هذه المقال.

(16) يوسف منصف، مولاي ادريس المودن، هكذا استغل الاستعمار الدين لحكم المغاربة!، موقع تيزنيت 24، 21 جويلية 2014.

(17) محمد باقر الكتاني، مصدر سابق، ص 461.

(18) يذكر محمد باقر الكتاني حول هذه القضية، أنه كان معارضا لموقف عمه عبد الحي، ومعارضاً لكونه رئيساً للطريقة، بل ويرفض المبادرة التي تجعل الشيخ عبد الحي على مثالا على رأس الطرق الصوفية في محادثات إيكس ليان بين حكومة إدغارد فور، ومناضلي الحركة الوطنية المغربية، محمد باقر الكتاني، مصدر سابق، ص 461.

(19) تجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين الكتانيين والزواوية الحملاوية الرحمانية ثم الخلوتية والهبرية، بعد زواج عمر بن الحملاوي من ابنة الشيخ عبد الحي الكتاني رئيس الطريقة الكتانية بالمغرب، وذلك في 11 ديسمبر 1951،

-A.W.O: *Bulletin Mensuel des Questions Islamiques, Décembre 1951, P111.*

(20) A.W.O: *B.M.Q.I, Octobre 1952, P110.*

(21) A.W.O: *B.M.Q.I, Octobre 1948, P04.*

(22) A.W.O: *B.M.Q.I, Septembre 1949, P80-81.*

(23) A.W.O: *B.M.Q.I, Janvier 1953, P111.*

(24) محمد البشير الإبراهيمي، أفي كل حي عبد الحي- مؤتمر الزوايا بعد مؤتمر الأئمة، ضمن مجموع آثار الإمام البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ج3، 391.

(25) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ص391

(26) المصدر نفسه، ج3، 394.

(27) المصدر نفسه، ج3، 395.

(28) عيون البصائر، مصدر سابق، ص 617 وما يليها.